الفصل الثانى

وثيقة التبرئة : جواز المرور

● **مؤتمر الفاتيكان الثانى :**

فى عام ١٨٦٩ عقدت الكنيسة الكاثوليكية مؤتمرها الدينى العالمى الذى عرف باسم مؤتمر الفاتيكان الأول ، وأما مؤتمر الفاتيكان الثانى - الذى نتحدث عنه هنا (*) - فهو ذلك المجمع المسكونى أو المؤتمر الدينى العالمى للكنيسة الكاثوليكية ، والذى عقد فى الستينات من هذا القرن .

ولقد بدأت الاستعدادات لعقد هذا المؤتمر منذ أكثر من عامين سبقا توقيع البابا يوحنا الثالث والعشرين - الراحل - الدعوة لعقده فى نهاية عام ١٩٦١ .

ويعتبر هذا المؤتمر من الأحداث الهامة فى القرن العشرين إذ كان الغرض الرئيسى الذى عقد من أجله هو تحقيق الوحدة الدينية بين المذاهب المسيحية المختلفة ، هذا بالإضافة إلى موضوعات أخرى هامة .

فقد اشتمل جدول أعمال المؤتمر على سبعين موضوعًا تقرر أن تدرسها عشر لجان مختصة ، ومن بين هذه الموضوعات : تحديد علاقة رجل الدين بالدولة ، مع دراسة طبيعة الكنيسة فى العصر الحديث ووظائفها وسلطاتها ، وتطوير الطقوس والتعاليم الدينية بما يتفق والتطورات الحديثة ، ودراسة مفهوم الإيمان والعناية بالروح وتقديس كلمة الله ، ثم دراسة مبدأ حرية العبادة .

وقد طبعت الموضوعات المعروضة للدراسة - وكلها دينية - فى حوالى ١١٩ كتيبًا أرسلت إلى أعضاء المؤتمر قبل عقده بشهرين توطئة لدراستها قبل مناقشتها

(*) المراجع الرئيسية لهذا الفصل هى :

١ - كتاب : « نحن والفاتيكان وإسرائيل » - تأليف أنيس القاسم - الناشر : مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت عام ١٩٦٦

٢ - بحث لجريدة الأهرام بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٦٢

وإقرارها ، وقد ضم هذا المؤتمر ٢٨٥١ مندوبًا عن الكنائس الكاثوليكية فى العالم ، بالإضافة إلى ممثلى الطوائف المسيحية الأخرى من الأرثوذكس والبروتستانت .

هذا - وقد افتتح المؤتمر فى أكتوبر عام ١٩٦٢ ليبدأ بحث موضوعاته التى سبقت الإشارة إليها - فى دورات أربع .

* * *

● **إقحام وثيقة التبرئة :**

عرض على المجمع المسكونى فى دورته الثانية التى عقدت عام ١٩٦٣ ، الباب الخاص بعمومية الكنيسة ، وقد وافق عليه الأعضاء ولم يكن فى هذا الفصل أى إشارة لموضوع تبرئة اليهود من دم المسيح ، ورغم أن الموضوعات التى تقرر بحثها فى المؤتمر كانت معروفة من قبل وعملت لها البحوث التمهيدية اللازمة - إلا أن الأعضاء فوجئوا فى ٨ نوفمبر ١٩٦٣ بوثيقة توزع عليهم بإمضاء الكاردينال الألمانى بيا رئيس سكرتارية المجمع المسكونى ، ومعها اقتراح بضمها إلى الباب الخاص بعمومية الكنيسة .

وكانت هذه الوثيقة هى التى عرفت فيما بعد باسم وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، أو باختصار وثيقة التبرئة .

وفيما يلى أهم عناصر الوثيقة فى صورتها التمهيدية : « إن كنيسة المسيح تعترف بأن مبادىء عقيدتها قد نبتت لدى الرسل والأنبياء طبقًا لسر الخلاص الإلهى ، فهى تعترف فعلاً بأن جميع المؤمنين وهم أبناء إبراهيم - حسب العقيدة - داخلون فى رسالة ذلك النبى ، كما أن خلاص الكنيسة سبق ذكره فى صورة صوفية فى خروج الشعب المختار من أرض الاستعباد ، لهذا فإن الكنيسة - ذلك المخلوق الجديد فى المسيح وشعب العهد الجديد - لا يمكن أن تنسى أنها استمرار لذلك الشعب الذى تفضل الله عليه برحمته الواسعة فى يوم من الأيام بتحقيق عهده القديم . . .

وتضع الكنيسة نصب عينيها دائمًا ما قاله بولس الرسول فى شأن اليهود : الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد (الرسالة إلى أهل رومية ٩ : ٤) . . ومن الواجب أيضًا أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودى مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحى ، والواقع أن الكنيسة ، حسب تعاليم بولس

الرسول (رسالة رومية ١١ : ٢٥) تفتح بعقيدة متينة ورغبة أكيدة فى وجه ذلك الشعب ، باب الدخول فى سلطان شعب الله كما وطده المسيح .

لهذا يجب على الجميع أن يراعوا عند تلقين الدين المسيحى أو نشر كلمة الله أو فى المحادثات اليومية ، عدم إظهار الشعب اليهودى كأنه ملعون أو القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود ، **ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص أشد الحرص ألا نعزوا إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح ...**

ومن الضرورى إذن أن يتوقف الناس أصحاب القلوب الطيبة وخصوصًا المسيحيين ، عن التفرقة بين الناس ، وأن يكفوا عن المعاملة السيئة ، بسبب الجنس أو اللون أو الوضع الاجتماعى أو الدين . . . » .

*

فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ طرح مشروع القرار الخاص بعمومية الكنيسة على المجلس ، وإذا بالفصل الرابع فيه يتكلم عن « اليهود » ، ثم هو يسبق الفصل الخامس الذى يبحث فى « الحرية الدينية » ، وكان من عادة السكرتارية أن تقدم تقريرها للمجمع عن كل فصل من الفصول قبل الشروع فى بحثه مباشرة ، لكنها لم تراع هذا العرف فيما يتعلق بالفصل الرابع الخاص باليهود والذى أقحم على الباب الخاص بعمومية الكنيسة ، فقد حدث فى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٣ ، أى فى اليوم التالى لبدء المناقشات - وما زال أمام المجمع ثلاثة فصول يجب بحثها والبت فيها قبل مناقشة الفصل الرابع ، إذا بالكاردينال بيا يقدم بنفسه التقرير الخاص بهذا الفصل الرابع ، وكان مما قاله :

كيف يمكن اتهام اليهود بقتل الرب ؟ وحتى فى ذلك الوقت فإن أغلبية الشعب لم تعرف شيئًا عما كان يحدث ، وقد رفض أحد أعضاء السنهدرين (مجمع اليهود) الموافقة على القبض على المسيح ، كما أن القادة كانوا مترددين فى الاشتراك فى هذا الفعل - ولذلك فإنه من المستحيل اتهام اليهود بقتل الرب .

* * *

● **معارضة الوثيقة :**

لقد أثارت هذه الوثيقة الكثير من المعارضة داخل المجمع وخارجه ، وامتدت موجات المعارضة لتشمل العالم المسيحى ، ثم تتعداه وتمتد خارجه .

ففى داخل المجمع ، قال الكاردينال روفينى - من باليرمو : إن النص يجب أن يؤكد الروابط الوثيقة التى تقوم بين الكنيسة والمنشقين عنها من المسيحيين ، وإذا أريد بحث اليهود فلماذا لا تبحث الديانات الأخرى التى لا يظهر أتباعها من العداء للكنيسة ما يظهره اليهود ؟

وقال المطران كوتنهو الهندى : إن المشروع غير مقبول نظرًا لإشارته لليهود ومهما اتخذ من احتياطات ، فإن النص سيفسر على أنه نص سياسى ، وإن هذا سوف يسبب الاضطراب فى البلاد العربية والآسيوية ، حيث توجد ديانات قديمة جدًا لم يشر إليها المشروع ، فإما أن يحذف الفصل الرابع أو تضاف فصول عن الديانة الهندية والديانة الإسلامية .

وقال الكاردينال طبونى متحدثًا باسم بطريركية أنطاكية : لقد كان مصدر استغراب أن يكرس فصل خاص باليهود ، فموضوع اليهود يجب ألا يبحث فى هذا المكان أبدًا ، نظرًا لأن المجمع المسكونى قد اجتمع لبحث الأمور الكاثوليكية بصورة أساسية وأمور المسيحيين الآخرين بصورة ثانوية .

كما قال : إن السكرتارية المسئولة عن المشروع كانت مهمتها تقوية الوحدة المسيحية ، ومع الاعتراف بالدوافع التى أوحت بالنص ، إلا أن النص سيؤدى إلى الفوضى نظرًا للوضع السياسى فى الوقت الحاضر .

*

وأما المعارضة خارج المجمع فإنها لم تركز على الشكليات فقط ، وإنما نظرت إلى الموضوع باعتباره قضية دينية سوف يترتب على إقرارها فى صورتها المعروضة نتائج خطيرة بالنسبة للعقيدة المسيحية ، فقد أصدر الشباب الكاثوليكى بالقدس بيانًا قال فيه :

« اتبع بعض رجال الدين الغربيين حاليًا خطة جديدة تهدف إلى تفسير ما جاء فى قرار المجمع المسكونى من وجهة نظرهم .. وذلك باقتحام المدارس وإلقاء المحاضرات حول صحة موضوع التبرئة ، وجعل الشباب يؤمنون بواقع الأمر ، وقد اتخذوا أساليب عديدة نود أن نوضح البعض منها .

يقول أحدهم : الذين قتلوا السيد المسيح ليسوا يهود اليوم ، وإنما قاتلو المسيح هم

أجداد أولئك اليهود ، وقد رأى المجمع المسكونى أن يبرىء الأبناء من جريمة الآباء والأجداد ، ونحن فى مفهومنا أن الإنجيل هو المرجع الدينى الوحيد للمسيحية ، ويذكر بوضوح أن اليهود عامة مسئولون عن دم السيد المسيح ، كما وأن الكتاب المقدس يذكر بأن الله يطلب ذنوب الآباء من الأبناء ، فقد قال الله تعالى : أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء (سفر الخروج ٢٠ : ١٥) .

فمن أنا ؟ ومن أنت ؟ ومن هم ليقرروا التبرئة ؟ . .

ثم إن هذا التحريف من المجمع المسكونى ، الذى يقصد به رفع تلك الوصمة الأبدية عن اليهود ، مدعاة للتساؤل : هل هو نتيجة دراسات لاهوتية فلسفية تتعلق بجوهر الدين ، أو أنه ناتج من مؤتمرات سياسية غايتها خدمة الصهيونية ؟ .

فإذا كانت دراسات لاهوتية فإنها مصيبة ، إذ أنها تزعزع العقيدة الدينية للمسيحيين الكاثوليك من الأساس .

وإن كان من نواح سياسية فالمصيبة أعظم ، حيث إنه من شأن تلك الوثيقة أن تطلق باع الصهيونية فى مختلف الأقطار بعد أن يكونوا قد شعروا بزوال تلك الوصمة التاريخية عنهم » .

*

وقال المطران نجيب قبعين رئيس الطائفة الإنجيلية الأسقفية بالقدس تعليقًا على القرار :

كان قرار المجمع صدمة عنيفة للمسيحيين فى الشرق ، وأنا أعتقد أن المجمع أقحم نفسه فى غير ما ضرورة فى موضوع سيكون له بالغ الأثر على نظرة المسيحيين لتعاليم الإنجيل وعلى علاقاتنا بالعالم .

*

وفى القاهرة أدلى القس إبراهيم سعيد رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين بحديث إلى مجلة « روزا اليوسف » (*) استنكر فيه بشدة فكرة إصدار وثيقة التبرئة ، وبين أن

(*) مجلة روزا اليوسف - العدد ١٨٥١ بتاريخ ٢/١٢/١٩٦٣

إقرارها سوف تترتب عليه نتائج خطيرة تهز العقيدة المسيحية ، وتتطلب إعادة كتابة الإنجيل من جديد ليتفق وتلك التعاليم الجديدة - وذلك حين قال لمراسل المجلة المذكورة :

« تسألنى عن الاقتراح الذى قدمه أحد الكرادلة فى مجمع روما المقدس ، محاولاً به أن يرفع عن كاهل اليهود مسئولية صلب المسيح ابتغاء كسب صداقة اليهود .

هذه وسيلة نكراء دبرتها الصهيونية العالمية ، فأدخلها ناحوم جولد مان الحاخام الأكبر فى روما ، على مجمع الكرادلة محاولا أن يرفع عن اليهود مسئولية صلب المسيح ، على أمل أن يكسبوا بها صداقة اليهود ، ولا شك أنها محاولة فاشلة تبوء بخسران مبين لأنها تمس حجر الزاوية فى هيكل المسيحية المتين ..

إن العقيدة عقدة قوية متينة تربط النفس بخالقها وهى « همزة الوصل » التى تصل الإنسان بشخص المسيح ، وهى شبيهة بعقد درى ثمين إذا انفرطت منه حبة ، انفرطت وراءها سائر الحبات ، وهى فوق هذا وذاك وحدة حية متماسكة ، فإذا ما عبثت بأحد أركانها تداعت كل أركانها وأصبحت فى خبر كان ..

لمجمع الكرادلة ، ولغير مجمع الكرادلة ، أن يحاولوا كسب صداقة اليهود - ولكن على غير حساب الدين - فنحن لا نرضى أن نجعل عقيدتنا « كبش الفداء » لأى غرض من أغراض الدنيا . . التى تذهب كلها « جفاء » .

وأكبر الظن أن الصهيونية العالمية هى التى تحرك خيوط هذه المؤامرة من خلف الستار ، تحقيقًا لحلم يداعب عيون اليهود ، تنفيذًا لبرنامج يسمى « بروتوكول صهيون » ، وبها يحاولون أن يسيطروا على العالم الأوروبى وإن أمكن الأمريكى - بالمال والصحافة وسائر وسائل النشر والدعاية .

وإذا ما حاول مجمع الكرادلة أو غيره ، أن يبرىء اليهود من مسئولية صلب المسيح ، وجب عليه أن يعترف بأن المسيحية كلها عاشت تحت « أكذوبة طويلة عريضة » مدة عشرين قرنًا ، بل عليه أن يعيد كتابة الإنجيل من جديد - بل أن يخلق إنجيلاً جديدًا ، محاولاً أن يلقى فيه مسئولية صلب المسيح على قوم غير اليهود ! !

لأن كل حقائق الإنجيل صريحة كل الصراحة فى إلقاء مسئولية صلب المسيح على

اليهود . . ذلك أن قيافا رئيس كهنتهم الأعظم بعد أن مثل أمامه المسيح فى أول محاكمة دينية ، مزق ثيابه الكهنوتية بطريقة مسرحية أمام الحاضرين ، وقال : ما حاجاتنا بعد إلى شهود ، فليصلب المسيح ، لأنه خير لنا أن يموت واحد عن كل الشعب من أن يهلك الجميع . .

ولما تقدم اليهود بشخص المسيح موثقًا - كما توثق الذبيحة - أمام بيلاطس الحاكم الرومانى ، حاول ذلك الحاكم أن يمنع اليهود عن صلبه ، فالتجأ أولاً إلى عقولهم قائلاً لهم : « وأى شر فعل » ؟ قالوا له : فليصلب ، ثم التجأ إلى عواطفهم وقال لهم : « هائنذا أجلده أمامكم لعلكم تشفقون عليه وترجعون عن تصميمكم وعنادكم » ، لكنهم أصروا قائلين : « فليصلب فليصلب » ! ، ثم التجأ إلى ما بقى فيهم من روح العدالة قائلاً لهم : « وأى شر فعل ؟ » ، قالوا له : « اصلبه اصلبه ، لأنه يستحق الموت » ، وأخيرًا التجأ إلى عزتهم وكرامتهم - إن بقيت لهم كرامة وعزة - فقال لهم : « أأصلب ملككم ؟ » قالوا له : اصلبه ، لا ملك لنا إلا قيصر !! ثم صموا آذانهم ورفعوا أصواتهم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا » !! .

وكأن باب السماء كان مفتوحًا فى ذلك الوقت ، فسمعت صلاتهم هذه ، وبسببها ساروا هائمين على وجوههم مطرودين ، وقصة « اليهودى التائه » تصور بعض العذاب الذى يلاقون .

وهذه القصة تتلخص فى أنه وجد شخص تمثل فيه غضب الله على اليهود ، فخرج من أرض فلسطين هائمًا على وجهه ، فلم يجد عينًا ترعاه ، ولا قلبًا يعطف عليه ، وفى كل مكان كان يمضى إليه كان يقابل بالصد والوجوم . . حتى تهلهلت ملابسه وطالت لحيته وضمر بطنه من الجوع ، فظل تائهًا فى بقاع الأرض لا يجد قلبًا يرحم ولا عينًا تعطف إلى أن تدلت لحيته فكست صدره وظهره ، ولم يدر أحد مصيره . . ويقول الخيال الذى أبدع هذه القصة : إنه إلى يومنا الحاضر لا يزال هائمًا على وجهه ، لأن شخصية اليهود الثائرين على المسيح قد تجسمت فيه ، فأضحى هو امتدادًا لشخصية اليهود عمومًا المكروهين من جميع الناس سواء بسواء ، على الرغم مما يملكون من جاه وسطوة وثراء . .

ويكفى أن أذكر أن الرئيس الأعلى لمجمع الكرادلة (بابا روما) يفخر بأنه « خليفة بطرس الصياد » ! فماذا قال بطرس الصياد لجمهور عظيم من اليهود يزيد عن ثلاثة آلاف نفس فى عيد العنصرة ؟ لقد واجههم بهذه الحقيقة المرة قائلاً : « إن يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم قد جعله الله ربًا ومسيحًا » .

إن كتبة الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .. كانوا من اليهود .

ومع أنهم اختلفوا اختلافًا سطحيًا ، باختلاف وجهات نظرهم إلى شخص المسيح . .

إلا أنهم اتفقوا اتفاقًا قاطعًا فى أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح .

فمتى قال : إن الوالى على اليهودية فى ذلك الوقت قال لليهود :

« أنا معتاد أن أطلق لكم فى العيد أسيرًا واحدًا تختارونه ، وكان عندهم فى ذلك الوقت أسير مشهور اسمه « باراباس » ، وكان هذا سارقًا وقاتلاً ، وفيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس : « من تريدون أن أطلق لكم باراباس ، أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ » لأنه علم أنهم أسلموه حسدًا ، ففضلوا باراباس المجرم السارق السفاح على يسوع المسيح البار .

فقال الوالى : وأى شر عمل ؟

فكانوا يزدادون صراخًا وصياحًا قائلين : ليصلب . .

فلما رأى « بيلاطس » أن كل محاولاته لم تجد أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً : « إنى برىء من دم هذا البار » ، ابصروا أنتم . .

فأجاب الشعب وقال : « دمه علينا وعلى أولادنا » . .

ويليق بى أن أحذر المسئولين فى مجمع الكرادلة من تسخير الدين لخدمة السياسة .. لأن السياسة إذا ما دخلت من النافذة خرج الدين من الباب !!

ولا يفوتنا أن مقدمى هذا الاقتراح يحاولون أن يستروا الماضى وهم من الألمان الذين عندهم مركب نقص منذ أيام هتلر . .

« فلا تخضع لسلطان المال ، ولا للسياسة الدولية التى تحاول أن تهدم الدين المسيحى من أساسه » .

* * *

ولقد استمرت معارضة القرار على المستويات الشعبية والدينية المتخصصة لمدة أكثر من عامين قبل صدوره ، حتى أن واحدًا وثلاثين منظمة كاثوليكية وزعت على أعضاء المجمع نشرات - قبل عملية التصويت مباشرة - تشجب القرار ، وترى فيه إهانة للكنيسة ، وقد ذكرت جريدة لوموند الفرنسية فى عددها الصادر فى ١٧ أكتوبر ١٩٦٥ بيانًا عن هذه المنظمات ، ظهر منه أنها تمثل قطاعًا كبيرًا من الفكر المسيحى الغربى ، فقد كان من بين هذه المنظمات : ثلاث أمريكية ، وثلاث إيطالية ، وخمس فرنسية ، وثلاث مكسيكية ، واثنان برتغالية ، واثنان شيلية ، وواحدة من كل من : ألمانيا ، والنمسا ، والبرازيل ، وفنزويلا .

* * *

● إعادة النظر فى الوثيقة :

كان للمعارضة التى قوبلت بها الوثيقة فى صورتها التمهيدية أثرها ، فقد شكلت لجنة من أربعة أعضاء يرأسها المطران كارلى مطران سينى ، وكانت مهمتها إعادة النظر فى الوثيقة ، مع الالتزام بالنصوص الواردة فى الأناجيل فيما يتعلق بصلب المسيح .

وقد انقسمت اللجنة على نفسها ، وكانت الأغلبية ضد الوثيقة ، وخاصة فى الفقرات التى تتعلق بمسئولية اليهود عن جريمة الصلب ، وأمل المسيحية فى أن يتحول اليهود إلى مسيحيين .

ولم يقف مع الوثيقة فى صورتها التمهيدية سوى عضو واحد هو الكاردينال كولومبو ، أما الثلاثة الآخرون فقد عارضوها ، وكان رأيهم أن الشعب اليهودى قاوم الدعوة المسيحية ، وأن مقاومته أدت إلى صلب المسيح على يد قادته .

وبينما كانت اللجنة الرباعية تنظر فى الوثيقة ، نشر رئيسها المطران كارلى مقالاً فى مجلة دينية أسبوعية قال فيه :

« أعتقد أنه من المشروع أن نؤكد أن جميع أفراد الشعب اليهودى أيام السيد المسيح كانوا مسئولين بصورة عامة عن جريمة قتل الرب - كل واحد اشترك فى الفعل - مع أن القادة فقط ومعهم أحد الحواريين (يهوذا) قد نفذوا الجريمة .

وحتى اليهودية فى الفترة اللاحقة لقتل الرب قد اشتركت موضوعيًا فى المسئولية

عن جريمة قتل الرب ، حيث إن هذه اليهودية تمثل استمراراً حراً لذلك الماضى ، ولهذه الأسباب يمكن أن يقال عن اليهود بأنهم ينالون عذاب الله وأنهم ملعونون » .

كذلك ألقى البابا بولس السادس موعظة فى كنيسة سانتا ماريا بروما فى مارس ١٩٦٥ قال فيها :

« إنها صفحة خطيرة ومحزنة ، إنها تصف فى الواقع الاصطدام بين المسيح والشعب اليهودى ، فذلك الشعب الذى كان مقرراً له أن يستقبل المسيح فى الوقت المناسب عندما جاء المسيح وتكلم وعرض نفسه ، ذلك الشعب لم يكتف بأنه لم يعترف به ، بل حاربه وأهانه وآذاه ، وفى النهاية قتله » .

*

وفيما بين الدورتين الثانية والثالثة من دورات المجمع ، أعيد النظر فى صياغة وثيقة التبرئة ، وكان أهم تعديل هو إلغاء الجريمة بالنسبة لليهود المعاصرين فقط ، كما دعا التعديل اليهود إلى الدخول فى الكنيسة الكاثوليكية .

وبعد أن عرف اليهود هذا التعديل حملوا عليه بشدة لدعوته لهم للالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية ، واعترضوا عليه كذلك لأن النص لم يذكر صراحة أن مسئولية الصلب لا تقع على اليهود وحدهم .

وفى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥ وزع المشروع المعدل ، وقام الكاردينال بيا بتقديمه والدفاع عنه ، ثم قال :

لقد ثارت مشاكل حول مشروع القرار ، وقد واجهت السكرتارية هذه المسائل من ناحيتين :

الأولى : أنها أجرت دراسة دقيقة للتعديلات المتعددة التى أرسلت إلى السكرتارية فقد تلقت السكرتارية تسعين تعديلاً ، كان ستة وثلاثون منها تتعلق باليهود .

وقد قبلت السكرتارية اثنى عشر اقتراحًا ، أدت إلى تعديلات فى النص ، وأن معظم التعديلات التى وردت إلى السكرتارية صرحت بأن اليهود يعتبرون وفقًا للإنجيل مخطئين ، ويجب أن يعتبروا كذلك ، وأن يلعنوا بسبب جريمة قتل الرب ، وقد

استفسر أحد الأساقفة عن معنى قول القديس بولس : إن غضب الله عليهم إلى الأبد إذا كان اليهود سيبرأون من الصلب اليوم ؟

وقال بيا : إن ثمانية من المطارنة أخبروا السكرتارية أن الإشارة إلى اليهود كشعب يجب حذفها ، لأنها غير محددة وتقوم على نظرية خطيرة يناقضها الإنجيل .

أما الناحية الثانية : فهى القيام بسلسلة من الرحلات للاتصال برجال الدين من كاثوليكيين وغيرهم فى المناطق التى ظهرت فيها صعوبات متعددة بسبب القرار .

وكان الغرض من هذا كله هو تجنب اتباع تفسير للعقيدة يكون أقل دقة ، وكذلك لتأكيد الصيغة الدينية الصرفة للقرار لمنع تفسيره سياسيًا .

* * *

● **الوثيقة - بعد التعديل - فى صورتها النهائية** :

بعد مناقشات كثيرة ، جرى التصويت على البيان فقرة فقرة ، فأقر المجمع الجزء الخاص بالديانات غير المسيحية بأغلبية ١٧٦٣ مقابل ٢٥٠ .

وأقر المجمع المقدمة الخاصة بالديانة اليهودية ، والتى دعت إلى الحوار بين المسيحيين واليهود ، وذلك بأغلبية ١٩٣٧ مقابل ١٥٣ .

وأقر المجمع الفقرة التى تنفى المسئولية الجماعية لصلب المسيح عن اليهود ، بأغلبية ١٨٧٥ مقابل ١٨٨ .

كذلك أقر الفقرة التى تستنكر التمييز ضد الإنسان بأغلبية ٢٠٦٤ مقابل ٥٣ .

وفى جلسة رسمية بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥ أصدر البابا بولس السادس البيان الذى أصبح جزءًا من التراث الكاثوليكى ، والذى اشتهر باسم وثيقة التبرئة ، وقد جاء فيه :

« عندما يتمعن المجمع فى أسرار الكنيسة ، فإنه يذكر العلاقة التى تربط شعب العهد الجديد روحيًا بسلالة إبراهيم .

فكنيسة المسيح تعترف بأن أصل إيمانها واختيارها يوجد فى البطريرك وسائر الأنبياء وفقًا لرحمة الله ، وتعترف بأن جميع المؤمنين بالمسيح أبناء إبراهيم فى العقيدة ،

تشملهم دعوة البطريرك المذكور ، وأن خلاص الكنيسة قد سبق أن رمز له صوفيا فى خروج الشعب المختار من أرض العبودية . .

وتضع الكنيسة دائمًا نصب عينيها كلمات بولس الرسول فى ذوى قرباه الذين لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والوعود . .

وتشهد الكتب المقدسة أن القدس لم تتذكر وقت مجيئه ، وأن اليهود فى سوادهم لم يقبلوا الإنجيل ، وأكثر من هذا فإن عددًا كبيرًا منهم قد عارض فى نشر تعاليمه . . .

ومع أن ذوى السلطة عند اليهود وأتباعهم قد حرضوا على موت المسيح ، فإن ما ارتكب أثناء آلامه لا يمكن أن يعزى ، دون تمييز ، إلى جميع اليهود ، الذين كانوا عائشين إذ ذاك ولا إلى يهود أيامنا .

ومع أن الكنيسة هى شعب الله الجديد ، فإنه يجب ألا يعير اليهود ، بحجة الاستناد إلى كتب مقدسة بأنهم ملعونون أو مرذولون ، ولذلك فليحترس الجميع من أن يلقن فى التعليم المسيحى ، وفى الكرازة بكلمة الله بما لا ينسجم مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح . . . » .

* * *

وبعد - لقد بذلت الحركة الصهيونية جهودها فى سبيل الفوز بالوثيقة على الصورة التى تتفق وأهدافها ، فقد كان سفير إسرائيل فى روما دائم الاطلاع على ما يجرى فى أمانة سر اللجنة ، **وأن عددًا من الخبراء المسيحيين الذين هم من أصل يهودى قد اشتركوا فى وضع مشروع القرار دون أن تكون لهم صفة فى ذلك ، ومنهم المونسينور أوستر راكيز ، والأب بلوم برونوهاسار الدومنيكى وغيرهم** (*) .

حقيقة أن الحركة الصهيونية لم تحصل على كل ما كانت تريد ، لكنها حصلت على شىء استطاعت أن تمسك به فى يدها ولن تفلته أبدًا ، ولسوف تستخدم

(*) راجع ما تقوله « الوثيقة الصهيونية » المشار إليها فى الفصل الأول - عن مثل هؤلاء المسيحيين الذين هم من أصل يهودى .

الصهيونية ذلك الشيء بالكيفية التى تراها مناسبة لتحقيق أغراضها ، بصرف النظر عن جميع الاعتبارات والأخلاقيات .

لقد صدرت الوثيقة - وفيها ما فيها - رغم ما يقوله المسيح فى الإنجيل مخاطبًا اليهود :

« **أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره** ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه - متى ٢١ : ٤٣ - ٤٤ » .

وصدرت الوثيقة رغم ما يقوله بولس فى بنى جلدته من اليهود :

« **اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدنا نحن ، وهم غير مرضيين لله وأضداد لجميع الناس ، يمنعوننا عن أن نكلم** الأمم لكى يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين ، **ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية** » (١) تسالونيكى ٢ : ١٥ - ١٦ » .

* * *

إن كل إنسان يعرف شيئًا - ولو يسيرًا - عن حقيقة الصهيونية ليستطيع أن يصل فى سهولة ويسر ، إلى أن هذه الحركة - التى تحرص دائمًا على تغليف أطماعها بغلالات من الأفكار الدينية ، سوف تستخدم وثيقة التبرئة شر استخدام .

لقد كتب أنيس القاسم فى كتابه الذى صدر فى منتصف عام ١٩٦٦ : نحن والفاتيكان وإسرائيل - يقول :

« **إن الحركة الصهيونية ستمضى قدمًا فى الخطة التى رسمتها ، وستزداد دراستها للكتاب المقدس ولأعمال البابوات وللعقيدة الكاثوليكية عمقًا واتساعًا ، لزعزعة إيمان الناس بالكتاب المقدس ، وبالأعمال البابوية وبعقيدتهم - ص ١٤٢** » .

وما أن جاء عام ١٩٧٠ ، ولم يمض على نشر هذا الكلام سوى أقل من أربع سنوات ، نجد توقعات هذا الكتاب قد تحققت ، فلقد قامت إسرائيل بنشر ترجمة محرفة لأسفار العهد الجديد ، أعادت فيها صياغة قصة الصلب وما سجلته الأناجيل والرسائل المقدسة من مشاحنات ومعارك جرت بين اليهود وبين المسيح وتلاميذه - بحيث تبرىء الصورة المحرفة للعهد الجديد ، اليهود من كل ما سجل عليهم من

شرور طوال تسعة عشر قرنًا مضت ، لتتفق فى هذا مع ما جاء فى وثيقة التبرئة التى أصبحت ركيزة من ركائز الإيمان المسيحى .

*

حقاً لقد كانت وثيقة التبرئة جواز مرور الحركة الصهيونية لتنفذ إلى قلب المسيحية وتعبث بمقدساتها كيفما شاءت .

ولسوف نرى فى الفصل القادم بعض ما كان من أمر هذا العهد الجديد الإسرائيلى المحرف ، والذى يعتبر هو الموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب .

* * *